المولد العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المولد العلي

سيدنا محمد ﷺ

لفضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف
وشيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

المولد العلى

ص: ١٧×٢٤

عدد الصَّفحات: ٦٣

رقم الإيداع :

٢٠٢١/٣٠٢٤٣م

الترقيم الدولي :

٩٧٨-٩٧٧-٦٨٠٢-٤٢-١

مراجعة وتدقيق:

د. محمد وسـام خضر

الطَّبعة الأولى

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

التصميم الطِّباعي والاخراج الفنى:

أمين أحمد زكريـا

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

الحمد لله الذي أنار الوجود، بالمولد العليّ لنبيٍ السعود، وسيدِ كلِّ والدٍ ومولود، سيدِنا محمدٍ الحامدِ المحمود، أصلِ النبوة والفتوة والكرم والجود، مَن أخذ الله له على الأنبياء المواثيق والعهود، الفاتح الذي بنوره افتتح اللهُ الوجود، والخاتمِ الذي به خُتمَت النبوةُ وتم المقصود، أرسله ربُّه رحمةً للعالمين فهو مصدرُ الخيرِ لكلِّ موجود، والنعمةُ العظمى التي بالنعم تجود، القاسمُ لما يعطيه مولاه وما لعطائه حدود، فلم تُمْسِ نعمةٌ أو تُصْبِحْ إلّا ومنه سببُها ممدود، ولا ظهَرَتْ فضيلةٌ إلّا وإليه سرُّها مردود، طاهرُ النسل فآلُه نجومُ السعود، وطيّبُ الأصل المتقَلّبُ في أصلاب الرُّكَّع السجود، مِن الآباء والأمهات والجدود، نفحةُ الجود التي بها انفعل الوجود، والكلمةُ الطيبةُ التي منها سطَعَت الخليقةُ ولها ارتفعت البنود، والشجرةُ الأصلية التي بها اخضرَّ الورق وأينع العود، أصلها ثابت وفرعها سامق في سماء ذروة الصعود، الودودُ الذي به عُرِفَ الودود، والحبيبُ الذي لولاه ما بدا الوجود، والجوادُ الذي جودُه أصلٌ لكلِّ جود.

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته، ولا سَمِيَّ له في صفاته، تجلَّى بصَلاتِه على مَجْلَى كمالاتِه، وتدلَّى بصِلاتِه لنبعِ فيوضاتِه، ليتحلَّى بوصالِه بابُ رحَماتِه، ويتملّى بجمالِه مَظْهَرُ تجلياتِه، وأشهدُ أنّ سيدَنا ومولانا محمدًا عبدُه ورسولُه الذي ختم به رسالاتِه، ومصطفاه الذي هو غايةُ نبواتِه، الواسطةُ الكبرى التي بها النبوةُ والرسالةُ للأنبياء والمرسلين، والوسيلةُ العظمى في نيل ولاية الأولياء والمقربين، والشفيعُ المشفَّعُ في الدنيا والبرزخ ويومَ الدين، فهو صخرةُ الكونين وغوثُ الخلائق أجمعين.

أمَّا بعد، فاعلم جعلني الله وإياك في الدارين من أهل السعادة، وممن لهم الحسنى وزيادة، أن شهر المولد النبوي الشريف هو تاج الشهور في كل الأعوام، «وأن يوم مولده صلى الله عليه وآله وسلّم عيدٌ للإسلام» كما قاله ابنُ الجزرِيّ الإمام، مُقرِئُ ممالكِ الإسلامِ[1]، وأن ليلةَ المولدِ عظيمةُ القدر، إذ هي أفضل من ليلة القدر، كما بيَّنه العلامةُ ابنُ مرزوقٍ عظّم الله له الأجر، وقرّره من واحد وعشرين وجهًا في كتاب صنَّفه لهذا الأمر[2]، «فأفضل الليالي على الإطلاق ليلة المولد الشريف؛ لما ترتب على ظهوره صلى الله عليه وآله وسلّم فيها من النفع العميم والخير العظيم» كما نص على ذلك البرهان الباجوري شيخُ الإسلام وعلّامةُ الأنام[3].

---

(١) في كتابه «عرف التعريف بالمولد الشريف»، الإمام محمد بن محمد بن محمد الشهير بابن الجزريِّ الدمشقي (ص: ٢٣٧)، تحقيق: محمد الأزهري، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ.

(٢) وهو «جنى الجنتين في شرف الليلتين»، طبع دار الضياء، بتحقيق د. إبراهيم المريخي.

(٣) حاشية الشيخ الباجوري على ابن قاسم على متن أبي شجاع (ص: ٤٠٤)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة العاشرة ١٤٣٤هـ.

صِفْ ليلةَ المولد وصفًا حَسَنا .. ما ليلةُ القدرِ سواها عندنا
قد أشرقَتْ فابتهجَتْ منها الدُّنا .. واعتدلَتْ فلم يكن فيها عَنَا
ما بين حرٍّ وَصْفُها وبرْدِ

مِن ليلةِ القدر نَراها أحسنَا .. قد جمعَتْ أفراحَنا وأُنْسَنا
وأوسعَتْنا نِعَمًا ومِنَنا .. وبلَّغَتْنا كلَّ قصدٍ ومُنى
وكلَّ مطلوبٍ بغير عَدِّ[1]

فكلما هبت نسائم يوم الميلاد، قام أهل المحبة والوداد، على قدم الاتباع والسداد، وساق الجد والاجتهاد، يحتفلون بهذا اليوم المشهود في كل البلاد، امتثالا لأمر رب العباد، حيث قال في كتابه ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ فكان لهم خير هاد، وسارع أهل الاستعداد للاستمداد، فهم يعلمون أن من خواصِّ عملِ المولدِ المذكورِ «الأمانَ التام في ذلك العامِ، وبُشْرى بتعجيلِ نيلِ ما يُبتغى ويرامُ، ولو لم يكن في ذلك إلَّا إرغامُ الشيطانِ، وسرورُ أهلِ الإيمانِ، لكفى»[2].

أعلمت أنك يا ربيعُ الأولُ .. تاجٌ على هام الزمان مُكَلَّلُ
مُستعذَبُ الإلمام مرتقَبُ اللِّقَا .. كلُّ الفضائل حين تُقبِلُ تُقْبِلُ
ما عدتَ إلا كنتَ عيدًا ثالثا .. بل أنت أحلى في القلوب وأجمل

---

(١) هذه الأبيات من «جواهر النظم البديع في مولد الهادي الشفيع» للعلامة النبهاني.

(٢) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للإمام القسطلاني (٩٨/١) نقلًا عن إمام القُرّاء ابن الجزري، المكتبة التوفيقية، وانظر «بهجة السامعين والناظرين، بمولد سيد الأولين والآخرين» للعلامة الغيطي (ص: ٧١١) طبع مشيخة الأزهر الشريف.

شرفًا بمولد مصطفًى لما بدا .. أخفى الأهلةَ نورُه المتهللُ
فضَلَ الشهورَ عُلًا وفاخرَها فإن .. فخرَتْ بأطولها فأنت الأطولُ
وإذا حدا الحادي بمنزلة الحمى .. فالقصدُ سُكّانُ الحمى لا المنزلُ[١]

وشكر النعمة واجبٌ على المخلوق لمولاه، وأعظمُ نعمِ الله على خلقه: رحمتُه ومَجْلَاه، القائلُ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[٢]، والاحتفال بمولده شكرٌ لله على أعظم هداياه، قال الإمام العارف أبو العباس المرسيّ، قُدِّس سرُّه العليّ: «الأنبياء لأممهم عطية، ونبينا لنا هدية، والعطية للمحتاجين، والهدية للمحبوبين»[٣].

وقد سئل الإمام الألمعيّ، أبو زرعة العراقيّ، عن عمل المولد النبويّ، وعن مدى استحبابه، وهل ورد فيه شيء عمن يقتدى به، فأجاب رحمه الله، ونفعنا بعلمه وتقواه: «اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرحُ والسرورُ بظهور نور النبوَّة في هذا الشهر الشريف ولا نعلم غير ذلك عن السلف، ولا يلزم من كونه بدعةً كونُه مكروهًا، فكم من بدعةٍ مستحبةٌ بل واجبةٌ»[٤].

---

(١) الشعر للإمام أبي يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك البكري، المعروف بابن السِّمَاط [ت٦٩٠هـ]، وهو في «المدخل» للإمام ابن الحاجّ (٢/٤٤)، دار التراث.
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» وصححه على شرط الشيخين البخاري ومسلم.
(٣) «لطائف المنن، في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن» للإمام العارف أبي الفتح بن عطاء الله السكندري (ص: ٨٥٢)، تحقيق: الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود، دار الكتّاب المصري.
(٤) «شفاء السقيم بمولد النبي الكريم» للإمام الحسن الإدريسي، ضمن «مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النبوي القدسي» (ص: ٦٣١)، دار الكتب العلمية.

وقال الإمام الرباني، شهاب الدين القسطلاني: «فرحم الله امرأً اتخذ لياليَ شهر مولده المبارك أعيادا، ليكون أشدَّ علةً على من في قلبه مرض وأعيي دا»[١].

فالاحتفال بذكرى مولده من أفضل الأعمال وأعظم مظاهر الإحسان، لأنه تعبير عن الفرح والحب لخير إنسان، ومحبة النبي أصل من أصول الإيمان.

واعلمْ بأنَّ مَنْ أَحَبَّ أحمدا .. لا بُدَّ أنْ يَهْوَى اسمه مردِّدَا
لذاكَ أهلُ العلمِ سَنُّوا المَوْلِدا .. مِن بعده فكان أمرًا رَشَدا
أرضى الوَرَى إلا غُواةَ نجدِ

ولَمْ يَزلْ مِن أمَّةِ المختارِ .. مِن بَعد نحوِ خمسةٍ أعصار
مُسْتَحْسنًا في سائرِ الأمصارِ .. يجمعُ كلَّ عالِمٍ وقاري
وكلَّ سالكٍ سبيلَ رُشْدِ

كم جمَّعوا في حُبِّه الجُموعا .. وفرقوا في حبِّه المجموعا
وزينوا الديارَ والرُبوعا .. وأكثروا الأضواءَ والشُموعا
وطَيَّبوا الكلَّ بعَرْفِ النَّدِّ

---

(١) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، للإمام القسطلاني، طبعة المكتبة التوفيقية ص ٩٠. وفي العبارة جناس تام بين «أعيادا» الأولى: جمع عيد، و«أعيي دا» الثانية، وأصلها: وأعيي داءً، أي: وأصعبَ مرضًا، وحذفت همزة «داء» للسجع، وحذفُ همزة الممدود ليصير مقصورا جائز لغةً، فصار الجناس بذلك تامًّا.

وفَرِحوا بذكرِه وطَرِبوا .. وأكلوا على اسمِهِ وشَرِبوا
وابتَهلوا لِربهم وطَلبوا .. واسْتَشفَعوا لهُ بهِ وانتَسبوا
مُعتَقِدين نيلَ كلِّ قصدِ

كم عمَّرَ اللهُ بهِ الدِيارا .. ويَسَّر السُرورَ واليسارا
إذ بَذلوا الدرهمَ والدِّينارا .. وذكروا الرحمنَ والمختارا
بينَ صلاةٍ ودُعا وحمدِ

يا هل تُرى هذا يسوءُ أحمدا .. أم هل تراهُ ليسَ يُرضي الصَمَدا
فَدتْكَ نَفسي اعملْ ولا تخشَ الرَّدى .. وكَرِّر المولِدَ ثم المولدا
تَعِشْ سعيدًا وتُمُتْ في سَعدِ

أكثِرْ من الصلاة والسلام .. على النبي المصطفى التِّهامي
خيرِ البرايا سيدِ الأنام .. مشرِّعِ الحلال والحرام
وأصلِ كلِّ سؤددٍ ومجدِ[1]

فالفرح بالمولد المبارك للنبي الصادق الأمين، هو سمة المحبين الصادقين، وديدن عباد الله الطائعين، الذين لامتثال أوامره مسارعين، وإلى نسمات حبيبه مشتاقين، عملًا بقول الله تعالى في كتابه المبين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

---

(١) الأبيات من «جواهر النظم البديع، في مولد الهادي الشفيع» صلى الله عليه وآله وسلم، للعلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني.

(٢) سورة يونس: آية ٥٨.

بمولدِ خيرِ العالمينَ مَسَرَّتي .. وأعظمُ أفراحي وتفريجُ كُربَتي
وذِكري وفِكري وانشِراحي وراحَتي .. وعزِّي وسُلطاني وجَاهِي ونُصْرَتي
وأسعدُ أوقاتي إذا شاعَ ذِكرُهُ .. ألذُّ سمعي مِن حُلَاه بفكرتي
سَعِدْنَا بِمَن نالَ الشفاعةَ في الوَرَى .. وأُرسِلَ حقًّا للأنامِ برَحمةِ[1]

وأولُ من أرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أمِّه: ثويبةُ مولاةُ أبي لهبٍ عمِّه[2]، فلما بشرته بميلاد النور، أعتقها عند ذلك من السرور، فرآه أخوه سيدُنا العباس، بعد سنة من موته في شدة وباس، فقال له: ما لَقِيت؟ فقال: لم ألق خيرًا غير أني بعتاقتي ثويبةَ سُقِيت، ويُخَفَّفُ عنه العذاب كلَّ يومِ اثنين، لفرحه بمولد سيد الكونين[3].

وفي ذلك يقول الإمام الحافظ الألمعيّ، ابنُ ناصر الدين الدمشقيّ:

إذا كانَ هذا كافرًا جاءَ ذمُّهُ .. وتبَّت يَدَاهُ في الجحِيمِ مُخَلَّدا
أتى أنَّه في يومِ الاثنينِ دائمًا .. يُخَفَّفُ عنهُ للسرورِ بأحمدا
فما الظنُّ بالعبدِ الذي طولَ عُمرِهِ .. بأحمدَ مسرورًا وماتَ مُوحِّدا[4]

---

(١) الأبيات للشيخ أحمد الصيادي الطيبي، من قصيدة له جاءت في المولد المنسوب للإمام القسطلاني «كشف الأسرار في مولد سيدنا محمد المختار»، نسخة مكتبة لاله لي.
(٢) «تاريخ اليعقوبي» لأحمد بن أبي يعقوب ابن واضح الكاتب (٦/٢) المكتبة الحيدرية.
(٣) أصل الرؤيا بذكر السُّقيا أخرجها الإمام البخاري، في كتاب النكاح من «صحيحه»، أما تعيين الرائي، وزمن الرؤيا، وتخفيف العذاب كل اثنين: فجاء من روايات أخر؛ كما في «الروض الأنف» للإمام السهيلي (١٢٢/٥-١٢٣) طبعة دار إحياء التراث العربي.
(٤) «المورد الصادي في مولد الهادي» (ص: ٧٦) للإمام الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ.

والفرح بمولد عظيم الجناب، يفتح للمسلم من حبه أعظم الأبواب، فيصير المحب من أحبابه، وتناله جائزة «مَنْ فَرِحَ بنا فَرِحْنا به»(١).

السعدُ هل هلالُهُ .. والبدر تم كمالُهُ
في مولد النور الذي .. كشف الظلامَ جمالُهُ
بالرحمة العظمى من .. الرحمن جل جلالُهُ
مِن نورِه الكونُ ابتدا .. وأتى فعمَّ نوالُهُ
مِن خير أمٍّ إذ رأتْـ .. ـهُ سنًا أضاء مجالُهُ
مِن ساجدٍ هو والدٌ .. ما في الأنام مثالُهُ
هو أولٌ قبلَ الورى .. سبق الأنامَ جمالُهُ
هو آخرُ الحُسْنِ الذي .. عجز المديحُ يَطالُهُ
فافرحْ به يفرَحْ بك الـ .. ـهادي الشفيعُ وآلُهُ

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربِّ عليـه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أُنشِئَتْ مِن نُور طـه قِدَما

(١) هذا جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشيخ أبي موسى الزرهوني لما اشتكى إليه في منامه ما يقال من بدعية الولائم في مولده الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، كما في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» للإمام الصالحي (٣٦٣/١)، طبعة دار الكتب العلمية.

الحقيقة المحمدية

اعلمْ رحمك الله أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم هو المقصود من خلق النوع الإنساني، وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده، كما نص على ذلك الحافظ ابن رجب، الذي ارتقى "بلطائفه" أشرفَ سبب[١]، وهو إنسانُ العين، وقُطبُ الرَّحَى، وغاية الغايات في المخلوقات، ولأجله خُلِقَتْ جَميعُها، ولولاه لَمَا خُلِقَتْ، كما قرره ابن تيمية، استدلالًا بالنصوص القرآنية، والسنة النبوية، قاطعًا السبيلَ على من يدّعونه سلفًا لهم في أقوالهم الردية، ومذاهبهم البدعية، المنكرة للكمالات النبوية[٢].

فكان في أوليته القبضةَ النورانية الأولى التي هي بذرة الوجود، والتي ترعرع منها كل موجود، وفي آخريته الثمرةَ التي هي غاية الإنبات وتمام المقصود، وخير ما في الشجرة نتاجها المحمود، فهو الأولُ بدايةً وإيجادًا، وهو الآخرُ غايةً وإمدادًا، وهذا ذروة الجود.

فأنتَ رسول اللهِ أعظمُ كائنٍ .. وأنتَ لكلِّ الخلقِ بالحقِ مرسلُ
إليك مدارُ الخلقِ إذْ أنتَ قُطبُه .. وأنت مدارُ الحقِّ تعلو وتعدلُ
ينابيعُ علمِ اللهِ منهُ تفجَّرتْ .. ففي كلِّ طيٍّ منهُ للحقِّ مَدخلُ
منحتَ بفيضِ الفضلِ كلَّ مفضَّلٍ .. فكلٌّ له فضلٌ به منك يَفضُلُ

---

(١) المقصود «بلطائفه»: كتاب «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف»، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ص ٨١، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى»، أبو العباس ابن تيمية الحنبلي، (١١/٩٨)، طبعة مجمع الملك فهد.

نظمت نثار الأنبياءِ فتاجُهم .. لديكَ بأنواع الكمالِ مُكلَّلُ

فيا مدةَ الإمدادِ نقطة خطِّهِ .. ويا ذروةَ الإطلاقِ إذْ يتسلَّلُ

مُحالٌ يحولُ القلبُ عنكِ وإنني .. وحقِّكَ لا أسْلو ولا أتحوّلُ

عليك صلاةُ اللهِ منه تواصلت .. صلاة اتصالٍ عنك لا تتنصَّلُ[١]

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ، اللهُ يُعْطِي وَأَنَا أَقْسِمُ»**[٢].

فهو الباب الأكرمُ الفاتحُ لنعم الإله، والسبب الأعظمُ المانحُ لعطاياه، فالله خالقُ العطايا والحبيبُ قاسمُها، والوهّاب واهبُ المزايا والنبيُّ خاتمُها؛ «فلم تُمسِ بنا نعمةٌ ظَهرَتْ ولا بَطنَتْ، نِلْنَا بها حظًّا في دِينٍ ودُنيا، أو دُفِعَ بها عنَّا مكروهٌ فيهما وفي واحد منهما، إلّا وسيدنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم سببُها، القائدُ إلى خيرها، والهادي إلى رشدها»، كما يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه في "الرسالة"[٣]، مقيمًا بذلك الحجةَ على كلِّ صاحبِ ضلالة، لم يعرف للقدر النبوي الشريف كمالَه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»**[٤].

---

(١) قائل هذه الأبيات هو سيدي محمد وفا.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: الإمام أحمد في "المسند"، والبخاري في "الأدب المفرد"، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "المستدرك" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله في "الصحيحين".

(٣) «الرسالة» (ص: ١٦-١٧)، تحقيق العلامة: أحمد شاكر.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»، وابن حبان في «الصحيح»، والحاكم في «المستدرك» وصححه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

ألا بأبي مَن كانَ مَلكا وسيّدا .. وآدمُ بينَ الماء والطينِ واقفُ
فذاك الرسولُ الأبطحيُّ محمدُ .. له في العُلا مجدٌ تليدٌ وطارفُ
أتى بزمانِ السعدِ في آخرِ المَدَى .. وكان له في كلّ عصرٍ مواقفُ
أتى لانكسارِ الدهرِ يجبرُ صدعَهُ .. فأثنت عليه ألسنٌ وعوارفُ
إذا رامَ أمرًا لا يكونُ خِلافُهُ .. وليس لذاكَ الأمرِ في الكونِ صارفُ[1]

وقال الله تعالى لسيدنا آدم عليه السلام: «**إِنَّهُ لَأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، اُدْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**»[2].

فقال: إلهي ما الضياءُ الذي أَرَى .. جنودَ السما تعشو إليه تردُّدا
فقال: نبيٌّ خيرُ مَن وَطِئَ الثرى .. وأفضلُ من في الخيرِ راحَ أو اغْتَدَى
تخيَّرْتُه مِن قبل خلقكَ سيدًا .. وألبستُه قبلَ النبيين سؤددا[3]

فما أعظمَ حقيقتَه المحمدية، التي لا يحيط بها إلا ربُّ البرية.

وكيفَ يُدركُ في الدنيا حقيقَتَهُ .. قومٌ نيامٌ تَسلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ
فمبلغُ العلمِ فيهِ أنَّهُ بشرٌ .. وأنَّه خيرُ خلقِ اللهِ كلهِمِ[4]

---

(١) الأبيات للشيخ الأكبر ابن عربي في «الفتوحات المكية» (١/١٤٣)، طبعة دار صادر.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٦٧٢/ ٤٢٢٨) من حديث عمر رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وقد حسَّنه الإمام المجتهد قاضي القضاة تقي الدين السبكي في «شفاء السقام»، وقد ورد في هذا المعني عدة أحاديث أخرى يقوي بعضها بعضًا.

(٣) الأبيات من قصيدة للإمام الشاعر صالح بن الحسين الشافعي، كما في «مصباح الظلام، في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام» لابن النعمان (ص: ٣١)، دار الكتب العلمية.

(٤) قائل هذه الأبيات هو الإمام البوصيري في البردة.

فهو سيدُ ولدِ آدم، بل سيدُ الأكوان وصفوةُ العالَم، وهو عند مَن اصطفاه وأحبَّه، خيرٌ من الملائكة والعرش والكرسي والكعبة.

قال الإمام ابن عقيل الحنبليّ، في جوابٍ بيّنٍ جليّ، لمن سأله عن الأفضلية، بين الكعبة المشرفة والحجرة النبوية: «إن أردتَ وهو صلى الله عليه وآله وسلم فيها، فلا والله! ولا العرشُ وحملَتُه، ولا جنة عدن، ولا الأفلاك الدائرة؛ لأن بالحجرة جسدًا لو وُزِنَ بالكونين لرجح»[1]، وعلى هذا إجماعُ الأمة، كما نقله السادةُ الأئمة[2].

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربِّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أنشئَتْ مِن نُور طه قِدَما

---

(١) نقله عنه ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/١٣٦)، طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) نقل الإجماع على ذلك: الإمام الحصكفي والعلامة ابن عابدين من الحنفية في «الدر المختار» وحاشيته «رد المحتار»، والقاضي عياض المالكي في «الشفا»، والتقي السبكي والحافظ السخاوي وابن حجر الهيتمي من الشافعية، وغيرهم.

ظهور الحقيقة

قال الإمام القسطلانيّ، قُدِّس سرُّه النورانيّ: «لما تعلقَتْ إرادةُ الحق بإيجاد خلقِه، وتقديرِ رزقِه، أبرز الحقيقةَ المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالمَ كلَّها، علوها وسُفْلَها، على صورة حُكمِه، كما سبق في سابق إرادته وعلمِه، ثم أعلمه بنبوته، وبشره برسالته، هذا وآدمُ لم يكن إلّا -كما قال- بين الروح والجسد، ثم انبجَسَتْ منه عيونُ الأرواح؛ فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم الموردَ الأحلى، فهو الجنسُ العالي على جميع الأجناس، والأبُ الأكبرُ لجميعِ الموجودات والناس. ولمَّا انتهى الزّمانُ بالاسم الباطن في حقه إلى وجود جسمِه وارتباطِ الروح به، انتقلَ حُكمُ الزمان إلى الاسم الظاهر، فظهر محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم بكُلّيَّتِه جسمًا وروحًا، فهو وإن تأخرَتْ طينتُه، فقد عُرِفَتْ قيمتُه، فهو خزانةُ السر، وموضعُ نفوذِ الأمر، فلا ينفُذُ أمرٌ إلا منه، ولا يُنقَلُ خيرٌ إلا عنه»[1].

سَكَنَ الفؤادَ فَعِشْ هنيئًا يا جسدْ .. ذاكَ النعيمُ هو المُقيمُ إلى الأبدْ
رب الجمال ومرسل الجدوى ومَن .. هو في المحاسن كلِّها فردٌ صمد
قطب النهى غوثُ العوالم كلِّها .. أعلى عليّ سار أحمدُ من حمد
روحُ الوجودِ حياةُ مَن هو واجدٌ .. لولاهُ ما تمَّ الوجودُ لِمَن وُجِدْ
عيسى وآدمُ والصدورُ جميعُهمْ .. همْ أعينٌ هو نورُها لمَّا وَرَدْ

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ص٣٩.

لو أبصر الشيطانُ طلعةَ نورِه .. في وجه آدم كان أولَ من سجد
أو لو رأى النمرودُ نورَ جماله .. عبدَ الجليلَ مع الخليل وما عَنَد
لكن جمالُ الله جلّ فلا يُرَى .. إلا بتخصيصٍ مِن الله الصمد[١]

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربِّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أنشئَتْ مِن نُور طه قِدَما

(١) الأبيات لسيدي علي وفا، كما في سبل الهدى والرشاد للصالحي، ١/٧٥.

الأصل الشريف الطاهر

للشريعة الإسلامية الغراء، مزيدُ إشادة واعتناء، بشرف منبت خير الأنبياء وسيد الأصفياء، تأكيدًا على أن أصول المصطفى من ذوي الاصطفاء، وأن آباءه وأمهاته وأجداده من أهل الاجتباء، جعلهم الله من المصطفَيْنَ الأخيار، والمجتبَيْنَ الأطهار، ليؤهلهم لحمل نور نبوة المختار، من أصلاب آبائه الكرام الأبرار، إلى أرحام أمهاته ذوات الأنوار، فهم أهل المجد والشرف والفخار، عبر الأجيال والأعصار، وذلك بالأدلة المتواترة، والبراهين القاطعة الباهرة، من الآيات القرآنية الواضحة الظاهرة، والأحاديث النبوية المتكاثرة، التي هي لذلك مؤيدة ناصرة.

يقول البرهانُ إبراهيمُ الباجوريُّ شيخُ الإسلام، العلامةُ الإمام، بلّغه الله أعلى مقام: «جميع آبائِه وأمهاتِه صلى الله عليه وآله وسلم ناجون، ومحكومٌ بإيمانهم، لم يدخلهم كفرٌ ولا رجسٌ ولا عيبٌ ولا شيءٌ مما كان عليه الجاهلية؛ بأدلة نقلية؛ كقولِه تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[١]، وقولِه صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَمْ أَزَلْ أَنْتَقِلُ مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَاتِ إِلَى الْأَرْحَامِ الزَّاكِيَاتِ**»، وغيرِ ذلك من الأحاديثِ البالغةِ مبلغَ التواتر»[٢].

ما زالَ نورُ المصطفى مُتنقِّلا .. في الطيبينَ الطاهرينَ ذوي العُلا
حتى لعبد الله أوفى مُعلِنًا .. وببطنِ آمنةٍ بدا مُتهلِّلا[٣]

---

(١) سورة الشعراء: آية ٢١٩.

(٢) «تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد» للعلامة الباجوري (ص: ٦٨) طبعة دار السلام.

(٣) البيتان للإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، كما في «سبل الهدى والرشاد» (١/٢٥٨).

فهم الساجدون الذين قال الله فيهم: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي: تقلبك من أصلاب طاهرة مِن أبٍ بعدَ أبٍ إلى أن جعلتُك نبيًّا، وقد كان نورُ النبوة في آبائه ظاهرًا»[١].

تنقَّل أحمدُ نورًا مبينا .. تلألأ في جباه الساجدينا
تقلَّب فيهمُ قرنًا فقرنًا .. إلى أن جاء خير المرسلينا[٢]

وهم المصطفَوْنَ الأخيار، الذين افتخَرَ بالانتساب إليهم المختار، ومحالٌ أن يفتخر بأحدٍ من الكفار؛ فقد نهى عن عُبِّـيَّةِ الجاهلية[٣] التي يُمَجَّدُ فيها آباءٌ هم فحمُ النار[٤]، وقد افتخر بآبائه وأخبر أنهم خيارُ الأخيار، فعلمنا بذلك أنهم السادة الأبرار، والكُمَّل الأطهار، في سائر الأعصار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**»[٥].

---

(١) «أعلام النبوة» للإمام الماوردي (ص: ٢٠١)، طبعة دار الهلال.

(٢) البيتان للإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، كما في «سبل الهدى والرشاد» للإمام الصالحي (١/٢٥٨).

(٣) عُبِّيَّة الجاهلية: تكبُّرها وتجبُّرها.

(٤) فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في «الصحيح».

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**[١]، وفي لفظ: **«وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»**[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«خَيْرُ الْعَرَبِ مُضَرُ، وَخَيْرُ مُضَرَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَخَيْرُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بَنُو هَاشِمٍ، وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاللهِ مَا افْتَرَقَ فِرْقَتَانِ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ آدَمَ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا»**[٣].

وكما أن الحبيبَ المجتبى أعظمُ الناسِ نسبا، فهو خيرُ الخلقِ أبا:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **«مَا افْتَرَقَ النَّاسُ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنِي اللهُ فِي الْخَيْرِ مِنْهُمَا، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي وَأُمِّي، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَسَبًا وَخَيْرُكُمْ أَبًا»**[٤].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «الصحيح».

(٢) أخرجه حمزة بن يوسف السهمي في «فضائل العباس» -كما في «الدر المنثور» (٩٥/٥) دار هجر-، والخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١٢١/٢) دار المعرفة، والدمياطي في «معجم شيوخه» (رقم ٧، مخطوط).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى»؛ كما ذكر الحافظ ابن ناصر الدين في «جامع الآثار في السير ومولد المختار» (٣٩٤/١) طبعة دار الفلاح.

(٤) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» جازمًا محتجًّا به -وعنه البيهقي في «الدلائل»-.

وعن عمرو بن قيس -وهو تابعي أدرك سبعين صحابيًّا- أنه بلغه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**اخْتَارَ اللهُ مِنَ النَّاسِ الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ كِنَانَةَ، وَاخْتَارَ مِن كِنَانَةَ النَّضْرَ، وَاخْتَارَ مِنَ النَّضْرِ عَبْدَ مَنَافٍ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ هَاشِمًا، وَاخْتَارَ مِنْ هَاشِمٍ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، وَاخْتَارَ مِنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَبْدَ اللهِ، وَاخْتَارَ مِنْ عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدًا**»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**قَالَ لِي جِبْرِيلُ عليه السلام: قَلَّبْتُ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ أَجِدْ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[٢].

قال الإمام الحافظ النبيه، القاضي المحدث الفقيه، ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ في "أماليه": «لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أنّ الخيريةَ والاصطفاءَ والاختيارَ من الله والأفضليةَ عنده: لا تكون مع الشرك»[٣].

فسبحان الذي «خصّه بطهارة النسب تعظيمًا لشانِه، وحفظ آبائه من الدنس تتميمًا لبرهانِه، وجعل كلَّ أصلٍ مِن أصوله خيرَ أهلِ زمانِه»[٤].

---

(١) أخرجه الحافظ أبو زرعة الدمشقي، كما ذكر الحافظ ابن ناصر الدين في «جامع الآثار» (٥٩٣/١).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» والطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الدلائل».

(٣) نقله عنه الحافظ السيوطي في «مسالك الحنفا» -المطبوع ضمن كتابه «الحاوي للفتاوي» (٢٥٦/٢)، طبعة دار الفكر-.

(٤) «المقامة السندسية، في النسبة المصطفوية» للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ص: ٣)، دائرة المعارف النظامية.

فآباؤه وأمهاته صلى الله عليه وآله وسلم موصوفون بالسجود والاصطفاء والخيرية، وهذه أوصاف أهل الإيمان الكمالية، واجتماعُها آكدُ في الدلالة على الإحسان والأفضلية.

فسلام الله على أصول المصطفى، لأنهم عبادُ الله الذين اصطفى، وقد سلّم اللهُ وأمر بالسلام عليهم وكفى، وعلمنا الشكر والوفا، فقال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾[1].

مِن عهدِ آدمَ لم يزلْ تُحمَى لهُ .. في نسلِها الأصلابُ والأرحامُ
حتى تنقَّل في نكاحٍ طاهرٍ .. ما ضمَّ مُجتمِعَيْنِ فيه حرامُ
فبدا كبدرِ التّمِّ ليلةَ وضعِه .. ما شانَ مطلَعَهُ المنيرَ ظلامُ
فانجابت الظَّلماءُ مِن أنوارِه .. والنّورُ لا يَبقى عليه قَتامُ
شكراً لمهديه إلينا نعمةً .. ليستْ تُحيطُ بكُنهِها الأوْهَامُ[2]

عطِّرِ اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُّرفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربِّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أُنشِئتْ مِن نُورِ طه قِدَما

(١) سورة النمل: آية ٥٩.

(٢) الأبيات للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي؛ كما في «الحاوي» للإمام السيوطي (٢/٢٦٨).

النسب الشريف

هو سيدنا ومولانا **محمدٌ**، ابن السيد **عبد الله**، ابن السيد **عبد المطلب** واسمه شيبة الحمد وكانت قريش تلقبه «بإبراهيم الثاني»، ابن السيد **هاشمٍ** واسمه عَمرو، ابن السيد **عبدِ مَنافٍ** واسمه المغيرة وكان يُلقَّب «بقَمَر البطحاء»، ابن السيد **قُصَيٍّ** واسمه مُجَمِّع، ابن السيد **كِلابٍ** واسمه حَكيم، ابن السيد **مُرَّةَ**، ابن السيد **كعبٍ**، ابن السيد **لُؤَيٍّ**، ابن السيد **غَالبٍ**، ابن السيد **فِهْرٍ** واسمه قُرَيش، ابن السيد **مالكٍ**، ابن السيد **النَّضْرِ**، ابن السيد **كِنَانَةَ**، ابن السيد **خُزيمةَ**، ابن السيد **مُدْرِكَةَ**، ابن السيد **إلياسَ**، ابن السيد **مُضَرَ**، ابن السيد **نِزَارٍ**، ابن السيد **مَعَدٍّ**، ابن السيد **عدنانَ**.

نسبٌ أضاءَ وشمسُهُ مِن هاشمٍ .. وسماؤه مِن يَعْرُبٍ ونزارِ
مِن معشرٍ وَرِثوا السّيادةَ كابرًا .. عن كابرٍ فهُمُ كبارُ كبارِ
أقمارُ أنديةٍ أسودُ وقائعٍ .. أطوادُ أحلامٍ سحابُ قِطارِ[1]
لا عارَ فيهم غير طولِ تيقّظٍ .. ما زالَ ينفي ضيقَ طيفِ العارِ
أهلُ الرِّفادةِ والحجابةِ والحجا .. وسقايةِ الحُجَّاجِ والزُّوَّارِ
المطعِمونَ إذا البلادُ مُجيعةٌ .. ومبدِّلو الإعسارِ بالإيسارِ
والمجتبى الهادي خيارُهمُ وهمْ .. بينَ الأنامِ خيارُ كلِّ خيارِ[2]

(١) أطواد أحلام: أي بلغوا الذروة والغاية في الأناة والعقل، فالأطواد: جمع طَوْدٍ، وهو الجبل، وسحاب قِطار: أي سُحُبٌ ذات أمطار، فالقِطارُ: جمع قَطْرٍ، وهو المطر.
(٢) هذه الأبيات ذكرها الإمام الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٢٤٠).

وسيدنا عدنان من ذرية سيدنا الذبيح إسماعيل، ابن سيدنا إبراهيم الخليل، الذي خرجت من ذريته هذه الكواكب الدرية جيلا بعد جيل.

يقول سيدنا عبد الله والد سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله ووالديه وآبائه الهداة:

لقد علم الساداتُ في كل بلدة .. بأنَّ لنا فضلًا على سادةِ الأرضِ
وأنَّ أبي ذو المجدِ والسؤددِ الذي .. يُسادُ بِهِ مِن بينِ نَشْزٍ إلى خَفْضِ
وجَدِّي وآباءٌ له أثَّلوا العُلَا .. قديمًا بطِيبِ العِرْقِ والحَسَبِ المحْضِ[1]

وأما أمهات آبائه صلى الله عليه وآله وسلم:

فأم سيدنا عبد الله: **فاطمةُ بنتُ عَمرٍو المخزوميةُ القرشيةُ**، وأم سيدنا عبد المطلب: **سَلْمى**، وأم سيدنا هاشم: **عاتكة**، وأم سيدنا عبد مناف: **حُبَّى**، وأم سيدنا قصي: **فاطمة**، وأم سيدنا حكيم: **هند**، وأم سيدنا مرة: **وَحشِيَّةُ**، وأم سيدنا كعب: **ماوِيّة**، وأم سيدنا لؤي: **عاتكة**، وأم سيدنا غالب: **ليلى**، وأم سيدنا فهر: **جَنْدَلَة**، وأم سيدنا مالك: **عاتكة**، وأم سيدنا النضر: **بَرّةُ**، وأم سيدنا كنانة: **عَوانةُ**، وأم سيدنا خزيمة: **سَلْمى**، وأم سيدنا مدركة: **خِنْدِفُ** واسمها **ليلى**، وأم سيدنا إلياس: **الرَّبَابُ**، وأم سيدنا مضرَ: **سَوْدَةُ**، وأم سيدنا نزارٍ: **مُعَانَةُ**، وأم سيدنا مَعَدٍّ: **مَهْدَدُ**، وأم سيدنا عدنانَ: **المُتَمطِّرَةُ**.

---

(١) ذكرها العلامة الزمخشري من شعر سيدنا عبد الله عليه السلام في كتابه «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» (١٨٠/٤) طبعة مؤسسة الأعلمي.

وأما نسبُه صلى الله عليه وآله وسلم مِن أمِّه آمنةَ عليها السلام:

فهي السيدة الآمنة الطاهرة العفيفة، المباركة النقية الشريفة، خير نساء قريشٍ جمالا وأدبا، وأكرمهن حسبا ونسبا: **آمنة**، بنت السيد وهب، ابن السيد **عبد مناف**، ابن السيد **زُهْرَةَ** واسمه المغيرة، ابن السيد **كلاب** واسمه حكيم، وهو الأب السادس في سلسلة نسب الحضرة المحمدية، وكنيته أبو زُهرة، وله ولدان: زُهرة وقُصَيٌّ، وزُهرة أسَنُّهما.

وجدُّها (عبدُ مَنَافِ بنُ زُهرة) كان يُقرَن اسمُه بابن عمه (عبدِ منافِ بنِ قصي) الجدِّ الثالث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فيقال لهما: "المَنَافان"[١]، فجُمِعَ للمصطفى النسَبَان، تشريفًا وتعظيمًا ورفعةَ شان، ليكون في أعلى محل وأشرف مكان.

وأمُّ سيدتنا آمنة: بَرّةُ بنتُ عبدُ العزى بنِ عثمانَ بنِ عبدِ الدارِ بنِ قُصَيّ.

وأمُّ أمها: أمُّ حبيبٍ بنتُ أسدِ بنِ عبدِ العزى بنِ قُصَيّ.

وأمُّ أمِّ أمِّها: برّةُ بنتُ عوفِ بنِ عَبيدِ بنِ عَوِيجِ بنِ عَدِيّ بنِ كعب.

وكلهن سيدات قرشيات، فهي سيدة كريمة من أعرق البيوتات، وأمٌّ عظيمة أمهاتُها أشرفُ الأمهات.

وأمُّ وهبٍ: **قَيْلَةُ** وقيل **هندُ** بنت أبي قيلة، وأمُّ عبدِ منافٍ: **جُمَل**، وأمُّ زُهْرَةَ: **فاطمةُ** بنتُ سعدِ بنِ سَيَلٍ الأزدي، وهي أم قصي أيضًا.

---

(١) «الروض الأنف» للإمام أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي (٨٩/٢) طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

قِفْ دونَ خِدْرِ المكرُماتِ مُثُولا .. وانثُرْ عليه سلامَك الموصولا
وأطل بمغْناه الوقوفَ فإنه .. بيتٌ أظلَّ بظلِّه جبريلا
دارُ الشريفاتِ النجيباتِ الأُلَى .. طهَّرْنَ أدرانَ العصورِ الأولى
الطيباتِ مغارسًا ومجانيًا .. الصافياتِ معادنًا وأصولا
المُشرِقاتِ مظاهرًا ومعانيًا .. الطاهراتِ سرائرًا وذيولا
المرسِلاتِ على البرية سيرةً .. كالروضِ نفحًا والنسيمِ قبولا
أنشأنَ من غُرَرِ الخِلال صحائفًا .. وعَقَدْنَ من نُخَبِ الكمال فصولا
وصدَرْنَ عن خير البطون سماحةً .. وصباحةً وفصاحةً وعقولا
وولدْنَ نشئًا هاشميًّا ضاحيًا .. كالسيف وضّاحَ الحِلَى مصقولا
مِن كل أبلجَ إن أُهِيبَ بعزمه .. أحيا الرجاء وحقق المأمولا
غُضِّ الجفونَ فذلك البيتُ الذي .. وسَمَ الليالِيَ غُرّةً وحُجُولا
نشأ الرسولُ به وشبَّ بظله .. للهِ أحمدُ ناشئًا ورسولا[1]

وقُصَيٌّ وزُهرة، ابنا كلاب بن مرة: هما أصرح البشر نسبًا بالمرّة، كما صرَّح به المبلّغُ عن الله أمرَه، صلى الله عليه وعلى آله ذوي المَبَرّة، وعلى آبائه الذين نوَّر نورُ النبوة في وجوههم الغُرّة، وقد جُمِعَا معًا للنسب النبوي فأبوه من قصي وأمه من زُهرة، وهما ابنا كلابٍ وفاطمة الأزدية اللذَيْنِ كانا مجمعَ نسبَـيْه ونخرَه، فما أصرحَه مِن نسبٍ أظهر اللهُ نوره وسرَّه.

(١) القصيدة للشاعر العلامة عبد الله عفيفي، من كتابه «المولد النبوي المختار» (ص: ١٩)، مطبعة مجلة الإسلام.

فعن أبي سعيد الخدري وجُبَيْرِ بن مطعم رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنّ صَرِيحَ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ابْنَا كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ؛ قُصَيٌّ وَزُهْرَةُ، لِفَاطِمَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ سَيَلٍ الْأَزْدِيِّ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَدَرَ الْبَيْتَ بَعْدَ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ**»[١].

«فرسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أشرفُ ولدِ آدمَ حسبًا، وأفضلهم نسبًا، مِن قِبَل أبيه وأمه» كما يقول صاحب السيرة الإمام الهُمَـام، أبو محمدٍ عبدُ الملكِ بنُ هشام[٢]، عليه سحائب الرحمة والفضل والإكرام.

«وإذا خبرتَ حالَ نسبِه، وعلمتَ كريمَ حسبِه، وعرفتَ طهارةَ مولدِه، وكشفتَ عن شرفِ محتِدِه، علمتَ أنه سلالة آباء كِـرَام، سادوا ورأسوا بين الأنام، ليس في آبائه خاملٌ مُسترذَل، ولا مغمورٌ مُستبذَل، كلهم سادةٌ قادة، أهل كرم ورفادة»[٣].

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وأخرجه أبو بكر بن السُّنّي في «رياضة المتعلمين» (ص: ٣١٣، ط. دار النوادر) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه واللفظ لحديث أبي سعيد، وأخرجه من حديثهما معًا: الدارقطني في «المؤتلف والمختلف»، وابن السمعاني في «الأنساب»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق».

(٢) في «السيرة النبوية» (٢٣٨/١) طبعة دار الجيل، وهي أيضًا عبارة إبراهيم بن المنذر الحزامي فيما رواه عنه الحافظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٤/٢) مكتبة الرشد.

(٣) من كلام الإمام أبي الحسن الماوردي في كتابه «أعلام النبوة» (ص: ٢٠٢) طبعة دار ومكتبة الهلال، بتصرف وزيادة.

فقد جمع الله للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أشرفَ الأنساب الآدمية، واختصه بصريح السلالة القرشية، ووالداه الشريفان من أصل الشجرة الإبراهيمية، فسبحان من اصطفى آباءه وأمهاتِه من بين البشرية بكل مزية، وجعل لهم المنة على البرية، بحمل أنواره السنية.

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَا .. رُ لَكَ الأُمَّهَاتُ وَالآبَاءُ
وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنكَ كَرِيمٌ .. مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاءُ
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلاَ بِحُلاهُ .. قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ
حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ وَفَخَارٍ .. أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ(١)

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أُنشِئَتْ مِن نُور طه قِدَما

(١) الأبيات من القصيدة الهمزية للإمام البوصيري.

سريان النور في البطون والظهور

خلق الله سيدنا آدم وجعل فيه النور المحمدي، فكان يسطع في جبينه كالكوكب الدري، وبسر ذلك النور كان السجودُ الملائكي، وظل متنقلًا من نبي إلى نبي حتى وصل إلى أبيه التقي النقي، فانتقل من سيدنا آدم إلى ولده شيث النبي، الذي أوصى بنيه بتخير مستودَع هذا النور المُضيّ، وأن يكون في النساء المطهرات ذوات الأصل الزكي، حتى وصل إلى صلب سيدنا نوح فنجت به البشرية من الطوفان اللُّجّيّ، واستوت سفينتُها على الجودي.

وبنوره بردت النارُ لسيدنا الخليل، وفُدِيَ من الذبح سيدُنا إسماعيل، وبنوره كسا سيدُنا عدنانُ الكعبةَ ونُصِرَ سيدُنا مَعَدٌّ على بني إسرائيل، وبسرِّه كان سيدنا نِزَارٌ فريدَ عصره، وكان نورُ النبوة بين عينيه كالقنديل، ففرح أبوه فرحًا شديدًا ونحر وأطعم كثيرًا وقال: هذا في حقه نزر قليل، وبنوره كان سيدنا مُضَرُ يَمْضُرُ القلوبَ ويأخذها بحسنه وشكله الجميل، وسُمِع في صلب سيدنا إليـاسَ الصوتُ النبويُّ الشريف بالتلبية والتهليل، وأدرك سيدُنا مُدرِكـةُ عزَّ آبائه مِن كل سـاجدٍ مـاجدٍ نبيل، وخُزِمَ -أي: جُمِعَ- به في سيدِنا خُزَيمـةَ نورُ آبـائه الصِّيدِ البَهاليل، واستكَنَّ النورُ في صلب سيدنا كنانةَ فنال به كلَّ فضلٍ جزيل، فأُتِيَ وهو نائمٌ في الحِجْر، وقيل له: اختر يا أبا النَّضْر، بين الصَّهيل والهَدْر[١]،

---

(١) صهيل الفرس: عند الحرب والطِّعَان، وهدر البعير: عند الذبح للضيفان، فالصهيلُ: إشارة إلى الشجاعة، والهدرُ: إشارة إلى الكرم.

وعمارةِ الجَدْر[١]، وعزِّ الدهر، فقال: كُلًّا يا ربِّ، فنال به المجدَ الأثيل، ولنضارة نوره في وجه سيدنا النَّضْرِ سُمِّيَ باسم الذهب[٢] الخالص الأصيل، وبه ملَكَ سيدُنا مالكُ وساد سيدُنا فِهْرُ وغلب سيدُنا غالبُ جيلا بعد جيل، ونطق سيدُنا لُؤَيٌّ بالحكمة صغيرًا وعلا كعبُ سيدِنا كعبٍ على كل قبيل، وبه كان سيدنا مُرّةُ شريفًا مطاعًا مسموع الكلمة نافذ الأمر في كل سبيل، وكان سيدُنا حكيمُ ملتقى النسب النبوي أبًا وأمًّا فنال الشرف المستطيل، وبنوره بلغ سيدُنا قصي أقصى المجد وبسره جمع قريشًا بعد تفرقها الطويل، وبنوره سُمِّيَ سيدُنا عبدُ منافٍ "قمرَ البطحاء" وأمر قريشًا بتقوى الجليل، وبه سُمِّيَ سيدُنا عمرُو هاشمًا لإطعامه الحجّاجَ والوحشَ والطيرَ وابنَ السبيل.

«إلى أن ظهر النور في أسارير عبد المطلب: سيد الوادي، شيبة الحمد، وسجد له الفيل الأعظم، وعليه قصة أصحاب الفيل، وببركة ذلك النور دفع الله تعالى شر أبرهة وأرسل عليهم طيرا أبابيل. وببركة ذلك النور رأى تلك الرؤيا في تعريفِ موضع زمزم، ووِجدانِ الغزالة والسيوف التي دفنتها جُرْهُم. وببركة ذلك النور كان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي. ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور.

وببركة ذلك النور كان قد سُلِّمَ إليه النظرُ في حكومات العرب والحكمُ بين المتخاصمين، فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند إلى الكعبة وينظر في حكومات القوم.

---

(١) المراد: عمارة الكعبة المشرفة وتجديدها.
(٢) النَّضْر في اللغة: الذهب، والنُّضَارُ: الخالص من كل شيء.

وببركة ذلك النور أُلهِمَ النذرَ الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده، وبه افتخر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: «**أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ**»؛ أراد بالذبيح الأول: سيدَنا إسماعيل عليه السلام، وبالذبيح الثاني: سيدَنا عبدَ الله بن عبد المطلب، وهو آخرُ مَن انحدر إليه النورُ فظهر كلَّ الظهور»[١].

«وكان سيدُنا عبد الله يقول: "كنتُ إذا خرجت إلى البطحاء يخرج مِن ظهري نوران، أحدهما يأخذ شرقَ الأرضِ، والآخرُ غربَها، ثم يستديران في ظهري كأسرعَ من طرفة العين"، قال أبوه: "سيخرج من ظهرك أكرمُ العالمين"، وتزوج سيدتَنا آمنةَ بنت وهب، وكان وهبٌ سيدَ بني زُهرة نسبًا وشرفًا، وآمنةُ أفضلَ امرأةٍ في قريشٍ نسبًا وموضعًا»[٢]، «قد أعطاها الله من الجمال والكمال ما كانت تُدعَى به حكيمةَ قومِها»[٣]، «وكانت من الفصاحة والحكمة والبلاغة على جانب عظيم لم يسبقها إليه أحد من نساء العرب»[٤].

وانتقل النور والوديعة، من الأصلاب الرفيعة إلى كنز أحشاء السيدة آمنة المنيعة، وكانت قريش في جدب، فلما كانت ليلة الحمل الشريفة سرت البركة إلى الأرض فاخضرت، وبالأمطار والخيرات درَّتْ.

---

(١) «الملل والنحل» للعلامة الشهرستاني (٣/٨٣)، طبعة مؤسسة الحلبي، بتصرف.
(٢) «شرف المصطفى» للإمام الخركوشي (١/٣٣٩-٣٤٠)، دار البشائر الإسلامية، بتصرف يسير، وتقديم وتأخير.
(٣) «أخبار الدول وآثار الأُوَل» للعلامة القرماني (١/٢٣٩)، طبعة عالم الكتب.
(٤) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» زينب العاملية (ص: ١٦) الطبعة الأميرية.

مِن قبلها طِبتَ في الظلالِ وفي .. مُستودَعٍ حيثُ يُخصَفُ الورَقُ

ثم هبطتَ البلادَ لا بَشَرٌ .. أنتَ ولا مضغةٌ ولا عَلَقُ

بل نطفةٌ تركبُ السفينَ وقد .. ألجم نسرًا وأهلَه الغرَقُ

تُنقَلُ مِن صالبٍ إلى رحمٍ .. إذا مضى عالَمٌ بدا طبَقُ

ورَدْتَ نارَ الخليلِ مُكْتَتَمًا .. في صلبِه أنتَ، كيف يحترقُ!

حتى احتوى بيتُك المهيمنُ مِن .. خندِفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ[1]

وأنتَ لما وُلِدْتَ أشرقَتِ الـ .. أرضُ وضاءت بنورك الأُفُقُ

فنحن في ذلك الضياء وفي النـ .. ـورِ وسبل الرشادِ نخترقُ[2]

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. يشذى الوصل صلاةً وسلاما

وعلى الآل الكرام الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما

صلِّ يا ربّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همى

واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أُنشِئَتْ مِن نُور طه قِدَما

(١) النُّطُق: سلاسل الجبال الشاهقة، أي: أن بيتك المهيمن على البيوت بشرفه حلَّ مكانةً علياءَ من نسب خندف وهي زوجة إلياس بن مضر، وهذه المكانة تتطامن تحتها الأنساب الشريفة كلُّها مهما علت.

(٢) قصيدة سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما يمدح بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيما أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، من حديث خُرَيْمُ بن أوس رضي الله عنه. قال الحاكم: «هذا حديث تفرد به رواته الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون».

الأبوان الكريمان نبع الإيمان

الحقُّ الذي يجب اعتقادُه، والصوابُ الذي صح بالنقل إسنادُه، والقاطعُ الذي وضح في العقل سدادُه: أن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنان ناجيان، بل هما خلاصة أهل الإيمان؛ لأنهما لنور النبوة مستودَعان، وقد اختارهما الله لأبوة سيد الأكوان.

«فهما مِن المصطَفَيْنَ الأخيار، ومن الأكابر الأبرار»، والحجة في ذلك صحيح الأخبار ومتواتر الآثار، كحديث مسلم في الاصطفاء والاختيار، وحديث البخاري في بعث المصطفى في خير القرون والأعصار، وغيرهما من أحاديث الاصطفاء والخيرية اللذَيْنِ وردت بهما الأخبار، فإنهما يستلزمان الإسلام كما هو معلوم بالاضطرار، بل يدلان على عدم صدور الذنب عند أوَلي الأبصار، كما قرره الشيخُ الأكبر، العارفُ بالله ابن عربي قدَّس الله سرَّه الأطهر، وأظهر نوره الأبهر[١].

وسمَّى الله أمَّه في الأزل "آمنة"؛ لتكون في الدارين آمنة، ومَن يأمَنُ إن لم تأمَن الآمنة! وسمَّى أباه "عبدَ الله"؛ ليتحقق بالعبودية لله، ومَن العابدُ لمولاه إن لم يكُنْه "عبدُ الله"، أقربُ الساجدين سبباً ونسباً بمصطفاه! فهو الأب الماجد والعبد الساجد «**وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»، وهو المختار المصطفى ﴿**وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**﴾؛ فتطابق الاسم والمسمى، وتوافق المعنى والمبنى.

---

(١) نقله الهيتمي في «الفتاوى» عن الشيخ الأكبر، كما في «سداد الدين» للبرزنجي (ص: ٩٢).

وقد حوى أبوه السيد المبارك في صلبه نور النبوة، ولُجَّة زَخّارِ الكرم والفتوة، وحملت أمه الشريفة الطاهرة في رحمها الأكرم: مجلى الكمالات الإلهية الأعظم، فصلب والده أعظم صلب عرفته الخليقة بالمرة، ورحم والدته أعظم صدفة حملت أعظم درة.

وإذا نجا صاحب الجوف الذي حمل قطرة من قطراته، فكيف تعذَّب أرحام حملته وكانت منبعَ حياته!

لوالدَيْ طه مقامٌ علا .. في جنة الخلد ودار الثواب
فقطرة من فضلاتٍ له .. في الجوف تُنجي مِن أليم العقاب
فكيف أرحامٌ له قد غدَتْ .. حاملةً تُصلَى بنار العذاب![1]

ووالداه الشريفان صلى الله عليه وآله وسلم يصدق عليهما أنهما آله؛ فإن «آل الرجل هم أهل بيته؛ لأنه إليه مآلهم وإليهم مآله»[2]، وأحق الناس بذلك: مَن آلوا إليه مِن أهل العباء، ومَن آل هو إليهم من الأمهات والآباء، لينتظم بذلك شرف الأنساب وطهارة الأنسال؛ فالوالدان بأصل الوضع اللغوي مِن الآل؛ لأنه يؤول إليهما نسبًا، بل هو بَضْعتُهما أمًّا وأبًا، فهما أصل النبي والآل ومنهما نبَعَ الكمال، فدخلا بذلك في الصلاة على الآل، فتشرع الصلاة عليهما بالتبع والاستقلال؛ إقرارًا لعين عين الكمال.

---

(١) الأبيات للعلامة الشهاب الخفاجي في «طراز المجالس» (ص: ٤٦٩) طبعة المطبعة الوهبية ١٢٨٤هـ، وذكرها العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (٦٣/١) مطبعة القدسي.

(٢) "مقاييس اللغة" للعلامة ابن فارس (١/٠٦١) طبعة دار الفكر.

وأمه عليها السلام هي أم المؤمنين شرفًا وحقيقةً وأصلا؛ لأن الزوجية استوجبت لزوجاته أمومةَ المؤمنين مِنّةً وفضلا، فالأمومة له تستوجبها من باب أولى؛ فالنسب أقوى من المصاهرة وأجلى، وسر أمومتهن لنا: أبوة المصطفى إذ يقول: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ**»[١]، وزوجة الوالد أمٌّ في المعنى، فأمه عليها السلام من باب أولى، والله تعالى يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٢]، فأمه عليها السلام أولى بالمؤمنين مِن أمهاتهم.

وكانت تُرَبّي ولدَها المصطفى على توحيد رب الأنام، وتُبَغِّضُه في الأصنام، وتهيئه لرسالة الإسلام، وقالت له قبل رحيلها إلى دار السلام:

بارك فيك اللهُ من غلامِ .. يا ابنَ الذي مِن حَومة الحِمامِ
نجا بعون الملكِ المِنْعامِ .. فُودِي غداةَ الضرب بالسهامِ
بمائةٍ مِن إبلٍ سَوَامِ .. إنْ صح ما أبصرتُ في المنامِ
فأنت مبعوثٌ إلى الأنامِ .. مِن عندِ ذي الجلال والإكرام
تُبعثُ في الحِلِّ وفي الحرام .. تبعث بالتحقيق والإسلامِ
دينِ أبيكَ البَرِّ إبراهامِ .. فاللهَ أنهاك عَن الأصنامِ
أن لا تدانيها مع الأقوامِ

ثم قالت: «كلُّ حيٍّ ميتٌ، وكلُّ جديدٍ بالٍ، وكلُّ كثيرٍ يفنَى، وأنا ميتةٌ وذكري باقٍ، وقد تركتُ خيرًا، وولدتُ طهرًا»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام الشافعي وأحمد والدارمي وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وغيرهم.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٦.
(٣) أخرجها الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة».

وصلاح الولد يعود على الوالدين بالثواب والخيرية، فكيف بمن ولدُهما سرُّ صلاح البرية، وأعمال الخير كلها معدودة في حسناته الكمالية، لأنه الذي دل الخلق على الخير وإخلاص النية.

وغارس الشجرة يحصّل ثواب العطاء، ولو لم يذكره الآكلُ منها بحسن الجزاء، فكذلك الأولاد صلاحُهم في ميزان الأمهات والآباء، ولو لم يُذكروا بالدعاء، فكيف بالعبد الشكور سيد الشفعاء، المأمور لهما بالدعاء، المَشُوق فيهما إلى الله بالالتجاء، الموعود فيهما بعظيم الرجاء، المأذون في زيارتهما وبه شُرِعَ الاقتداء، المفيض عند روضَيهما الدموعَ بأشد البكاء.

فقد كان المصطفى على أعظمِ ما يكون مِن البر بوالديه عليه وعليهما السلام؛ حبًّا لذكرهما، وافتخارًا بهما، وإكرامًا لأهل ودهما، وزيارةً لهما، وحثًّا على زيارتهما، واعتناءً بموضعهما، وإصلاحًا لقبريهما، وجلوسًا إليهما، وبكاءً عندهما، ومناجاةً لهما، واشتياقًا إليهما، ودعاءً لهما، وترحمًا عليهما، ولم يُرَ باكيًا كبكائه عندهما، ومخبرًا أنه لا يصده شيء عن تلبية ندائهما، فيقول: «**لَوْ أَدْرَكْتُ وَالِدَيَّ أَوْ أَحَدَهُمَا وَأَنَا فِي صَلاةِ الْعِشَاءِ وَقَدْ قَرَأْتُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، يُنَادِينِي: يَا مُحَمَّدُ، لأَجَبْتُهُ: لَبَّيْكَ**»[١]، امتثالًا في كل ذلك لقول الله تعالى: ﴿**وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[٢].

---

(١) رواه ابنُ البَخْتَرِيِّ في «أماليه»، وأبو الشيخ، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والديلمي في «الفردوس»، وابن الجوزي في «البر والصلة»، مستدلين به على عِظَمِ مكانة بر الوالدين.

(٢) سورة الإسراء: آية ٢٣-٢٤.

وكرر الزيارة لأمه عليها السلام عام الفتح وحجة الوداع والحديبية مع أصحاب بيعة الرضوان. ولما استأذن في الاستغفار لها نهاه المنّان[١]؛ لئلا يُتوهَّم أنها مؤاخَذَةٌ بذنبٍ يستوجب طلب الغفران[٢]، بل هما السيدان المبرَّءان المبروران، والوالدان المبوَّءان أعلى الجنان، مع ولدهما حبيب الرحمن، صلى الله عليه وآله ذوي العرفان، وآبائه وأمهاته تيجان الزمان.

فلما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمرة الحديبية بالأبواء أتى قبر أمه عليه السلام فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه[٣].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: "زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه في ألفِ مقنَّعٍ، فما رُئِيَ أكثرَ باكيًا من ذلك اليوم"[٤].

وفي لفظ: "فما رأيتُ أكثرَ مِن باكٍ وباكيةٍ يومئذ"[٥].

وفي لفظ: "لمّا فتح مكةَ أتى حَرَم قبر فجلس إليه، وجلس الناس حوله، فجعل يشير كهيئة المخاطِب، ثم قام وهو يبكي"[٦].

وعن زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: "فرأيناه كأنه يناجي، فقام يمسح الدموع بين عينيه"[٧].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.
(٢) «المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود» للشيخ محمود خطاب السبكي (٩/٩٣).
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» عن الواقدي من حديث ابن عباس وغيره.
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الحافظ الذهبي.
(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى».
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن شبة في «تاريخ المدينة»، والفاكهي في «تاريخ مكة».
(٧) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة».

نبكي الفتاةَ البرّةَ الأمينة .. ذاتَ الجمالِ العفّةَ الرَّزِينة
زوجةَ عبدِ اللهِ والقرينة .. أمَّ نبيِّ اللهِ ذي السكينة
وصاحبِ المنبرِ بالمدينة .. صارتْ لدى حُفرَتِها رَهِينة
لو فُودِيَتْ لفُودِيَتْ ثمينة .. وللمنايا شَفْرَةٌ سَنِينَة
لا تُبقِ ظعّانًا ولا ظَعِينة .. إلا أتَتْ وقطَعَتْ وَتِينَه
أما هلكتِ أيُّها الحنونة .. عن الذي ذو العرش يُعْلي دينَه
فكلُّنا والهةٌ حزينة .. نبكيك للعَطْلَةَ أو للزينة
وللضعيفاتِ وللمسكينة[1]

وجعل الله هذا البكاء، سببًا في أن ينال والداه الشريفان منقبة الإحياء، ليحوزا شرف الإيمان به مع الأحياء، وليكونا من أمة سيد الأنبياء المصدِّقين بوحي السماء، ويصيرا في مقدمة الصحابة الأجلاء.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَحْيَا لِي أُمِّي فَآمَنَتْ بِي، ثُمَّ رَدَّهَا**»[2].

حَبَا اللهُ النبيَّ مزيدَ فضلٍ .. على فضلٍ وكانَ بهِ رؤوفا
فأحيا أمَّهُ وكذا أباهُ .. لإيمانٍ به فضلًا لطيفا
فسلِّمْ فالقديمُ بذا قديرٌ .. وإنْ كان الحديثُ بِهِ ضعيفا[3]

---

(١) أبيات سُمِعَتْ في رثاء السيدة آمنة عليها السلام بعد موتها، كما أخرجه الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة» فيما ذكره الحافظ مغلطاي في «الزهر الباسم» (١/١٣/٤)، طبعة دار السلام.

(٢) أخرجه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ»، والدارقطني وابن عساكر في «غرائب مالك»، والخطيب في «السابق واللاحق».

(٣) الأبيات للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي في «المورد الصادي في مولد الهادي» (ص: ٨٣).

فحقهما على كل مسلم أوجبُ من حق أبويه لديه، وبرُّهما آكد مِن بره بوالديه؛ اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في برهما، وتقديمًا لبر والدَي المصطفى الذي هو أَوْلَى بكل مؤمن مِن نفسه: على والدَي الإنسان نفسه؛ لأن ذلك إنما كان لحبه والتعلق به وتقديمه على النفوس والمهج، والآباء والأمهات، والأبناء والبنات؛ فتقر بذلك عينُ سيد الكائنات، عليه أنمى الصلوات وأزكى التسليمات وأعطر التحيات.

أليسَ إيمانُهَما بلازمِ .. ومنهُما قَدْ جاءَ هديُ العالَمِ
كيفَ يكونُ رحمةَ العوالِمِ .. وهو لِوالِدَيْهِ غيرُ راحِمِ
فاقطعْ لسانَ قائلٍ بالضدِّ

رَوى لساني ودَرى جَنَاني .. أنَّهُما في الخُلدِ خالدانِ
قَد حَيِيَا بقدرةِ الرحمنِ .. وآمنا بابنِهِما العدْنَانِي
نَخرِ مَعَدٍّ وبني مَعَدِّ[1]

وسئل القاضي ابن العربي، عمن قال: إن أبا النبي في النار! فأجاب: «مَن قال ذلك فهو ملعون؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الذين يُؤْذُونَ اللهَ ورَسُولَه لَعَنَهم اللهُ في الدنيا والآخِرةِ وأَعَدَّ لهم عذابًا مُهِينًا**﴾[2]، ولا أذًى أعظم من أن يقال عن أبيه صلى الله عليه وآله وسلم إنه في النار»[3].

(١) « قائل الأبيات هو: سيدي يوسف النبهاني.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٧.
(٣) «مسالك الحنفا» للإمام الحافظ السيوطي، مطبوع ضمن كتابه «الحاوي للفتاوي» (٢/٢٧٩).

وقال إمام الشافعية، ابنُ حجرٍ الهيتميُّ ذو الفوائد البهية، عليه من الله أعطر سلام وأبهى تحية: «إياك أن يسبق لسانُك إلى غير ما قلنا -يعني: من النجاة- فتكون ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فتستحق اللعنة بنص القرآن؛ كما قدّمنا عن ابن العربي، وإذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمّا شكا إليه عكرمةُ بن أبي جهل رضي الله عنه قولَ الناس "هذا ابنُ أبي جهل": «**لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْأَمْوَاتِ**»، هذا مع كونه أبا جهل، فما ظنك بمن يتكلم في آبائه صلى الله عليه وآله وسلم بما يحطهم عن غاية الشرف والرفعة! نعوذ بالله من ذلك، ونسأله السلامة عن الخوض في مثل هذه المهالك»[1].

وأين عكرمة من سيدنا رسول الله! وأين أبو جهل من سيدنا عبد الله!

وصنف العلماء عبر القرون في بيان إيمانهما عشراتِ المصنفات، حتى صنف الإمام الحافظ السيوطي عليه الرحمات في ذلك ستَّ رسالات:

١. «مسالك الحنفا في والدي المصطفى».
٢. «الدرج المنيفة في الآباء الشريفة».
٣. «المقامة السندسية في النسبة المصطفوية».
٤. «التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة».
٥. «نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين».
٦. «السبل الجلية صفي الآباء العلية».

---

(١) «سداد الدين» للعلامة البرزنجي (ص: ٨٧) نقلا عن «الفتاوى» للعلامة ابن حجر الهيتمي.

وهو ممن صال في تقرير ذلك وجال، وأعرب فيه عن صواب المقال، وأوضح الأدلة بما فيها من صحيح أوجه الاستدلال، ولما شُغّب عليه في ذلك قال: «لو قطعتُ إربًا ما رجعتُ» عن ذلك بحال، «وقد رجوتُ بها الفوزَ بجنات النعيم، وتوصلتُ إلى مرضاة هذا النبي الكريم، المَحْبُوّ بالتبجيل والتكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأتحفتُ بها كلَّ ذي ذهنٍ قويم، وطبعٍ سليم، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1]»[2].

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أُنشِئَتْ مِن نُور طه قِدَما

(١) سورة التوبة: آية ١٢٩.

(٢) «المقامة السندسية في النسبة المصطفوية» (ص: ١١، ٢٠)، طبعة دائرة المعارف النظامية.

الحمل الأطهر

وفي أول ليلة من ليالي حمله صلى الله عليه وآله وسلم أغلقت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنان، واطَّلع الحي القيوم بالأمان، وتجلَّى بالرحمة والرضوان، واهتز العرش طربًا ومال الكرسي عجبًا وتنكست الأصنام، ونطقت الدواب بالبشارة به عليه السلام بالفصيح من الكلام.

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «فكان من دلالات حمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حُمِل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وربِّ الكعبة، وهو أمانُ الدنيا وسراجُ أهلها، ولم تبق كاهنة إلا حُجِبَتْ عن صاحبها، ولم يبق سرير مَلِكٍ من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك أخرس لا ينطق يومه ذلك، وفرَّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذا أهل البحار يبشر بعضهم بعضا، وله في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء: أن أبشروا، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركًا»[١].

وقال الإمام الوليّ، سهلُ التُّسْتَرِيّ: «أمر الله في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس، ونادَى منادٍ في السماوات والأرض: ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي، في هذه الليلة يستقر في بطن آمنة الذي يتم فيه خلقُه، ويخرج إلى الناس بشيرًا ونذيرًا»[٢].

---

(١) أخرجه الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٦١٠) طبعة دار النفائس.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي كما في «المواهب اللدنية» (ص: ٧٢).

وكانت آمنة عليها السلام، عند حملها بسيد الأنام، تزداد في كل يوم حسنًا وجمالًا وبهاءً، وهيبةً ووقارًا وضياءً، وتَخْطِرُ في أَرْدِيَة الكمال، وتحاط بمظاهر الدلال، لأجل حملها بسيد الكونين، وصاحب قاب قوسين، ولم تجد السيدة آمنة في حملها له شيئًا من الوحَم أو التعب أو الثِّقَل، ولا اعتراها بسببه هزال ولا تبرم ولا ملل، وكان نساء مكة يتعجبن ويقلن: إن المرأة إذا حملت بالولد تغير لونها وضعُفت قوتُها، إلا آمنة بنت وهب فقد أضاء وجهها وزادت صحتُها[1].

وفي ظهرِ عبدِ اللهِ تمّ ضياؤه .. وكان يُرى كالشمسِ في حالِ ضَحوةِ
وآمنةٌ فاقتْ نساءَ زمانِها .. وفاقتْ على الحورِ الحسانِ المضيئةِ
وصارتْ تُحَاكِي البدْرَ وهْوبوجْهِهَا .. يضيءُ سناهُ مثل شمسٍ منيرةِ
وعن نفسِها قالتْ: حمَلْتُ بأحمدٍ .. فما ازددتُ إلا صحّةً فوقَ صِحّةِ[2]

«ولما تمَّ لحمله صلى الله عليه وآله وسلم شهران على أصح الأقاويل المروية، توفي والده سيدنا عبد الله وهو على حالة زاكية مرضية، ودفن في المدينة المنورة العظيمة المقدار، بدار من دور بني عدي بن النجار، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدَنا ومولانا، وعالمَ سرنا ونجوانا، بقيَ نبيك يتيمًا لا أب له، فقيرًا لا مال له، فقال الله عز وجل: يا ملائكتي أنا أولى به من أمّه وأبيه، أنا حافظه ومربيه، أنا ناصره وراعيه، أنا رازقه وكافيه»[3].

---

(١) انظر: «كشف الأسرار عن مولد المختار» (ل ١٨/أ).
(٢) قائل الأبيات هو السيد أحمد الصيادي الطيبي، كما في المرجع السابق (ل ١٥/ب).
(٣) «إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة سيد الخلائق» صلى الله عليه وآله وسلم، للعلامة الكتاني (ص: ٣٦).

وسُئِل سيدُنا جعفرُ الصادق رضي الله عنه: لِمَ أُوتِمَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: «لئلَّا يكون عليه حقٌّ لمخلوق»[١].

أخذَ الإلهُ بالرسولِ ولم يزلْ .. برسولِهِ الفردِ اليتيمِ رَحِيما
نفسي الفداءُ لمُفردٍ في يُتْمِهِ .. والدرُّ أحسنُ ما يكونُ يَتِيما[٢]

وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنهم قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، فقال: «**نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ**»[٣].

قال الإمام الولي، الحافظ السيوطي: «هي رؤيا نومٍ وقعت في الحمل، وأما ليلة الولادة فرأت ذلك رؤيةَ عين»[٤]، وجوز الحافظ العراقيّ في "المولد السني" أن تتكرر رؤيا العين؛ في الحمل والوضع مرتين[٥].

وورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**ثُمَّ إِنَّ أُمِّي رَأَتْ فِي الْمَنَامِ: أَنَّ الَّذِي فِي بَطْنِهَا خَرَجَ نُورًا، قَالَتْ: فَجَعَلْتُ أُتْبِعُ النُّورَ بَصَرِي وَالنُّورُ يَسْبِقُ بَصَرِي، حَتَّى أَضَاءَتْ لِي مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا**»[٦].

---

(١) أخرجه الإمام الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (٢٩/٤٨٦) طبعة دار التفسير.

(٢) «إسعاف الراغب الشائق» (ص: ٣٦).

(٣) رواه ابن إسحاق في «السيرة»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الدلائل»، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي»، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوي».

(٤) «الخصائص الكبرى» للإمام السيوطي (١/٧٩) طبعة دار الكتب العلمية.

(٥) «المورد الهني في المولد السني» للإمام العراقي (ص: ٢١٠) طبعة دار السلام.

(٦) رواه الطبري في «تاريخه» والآجري في «الشريعة» من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

ورأت السيدةُ آمنة عليها السلام في منامها مَن يقول لها: «إنكِ قد حملتِ بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدتيه فسميه أحمدَ ومحمدًا، وعلّقي عليه هذه»، فانتبَهَتْ، وعند رأسها صحيفةٌ مِن ذهبٍ مكتوبٍ فيها:

«أعيذُه بالواحدِ .. مِن شر كل حاسدِ
وكل خَلْقٍ رَائدِ .. مِن قائمٍ وقاعدِ
عن السبيل عانِدِ .. على الفساد جاهِدِ
مِن نافث أو عاقدِ .. وكلِّ خَلْقٍ ماردِ
يأخذُ بالمراصدِ .. في طُرُقِ الموارِدِ

أنهاهم عنه بالله الأعلى، وأحوطه منهم باليد العليا، والكف الذي لا يُرَى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، لا يطردونه ولا يضرونه، في مقعد ولا منام، ولا مَسير ولا مُقام، أولَ الليالي وآخرَ الأيام»، أربعَ مرات[1].

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربِّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أنشئَتْ مِن نُور طه قِدَما

(١) «أخرجه الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ١٣٦) عن بريدة رضي الله عنه موقوفا.

المولد الشريف

ولد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين، ثاني عشر شهر ربيع الأول، وهناك أقوال أنه ولد لليلتين خلتا من ربيع، وقيل: ثامنَه، وقيل غيرُ ذلك. والمشهور هو الأول وعليه العمل[١].

قال حبر الأمة ونور المقباس، سيدنا عبد الله بن عباس: «ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول، وأنزلت عليه النبوة في يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول، ودخل المدينة في يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول، وتوفي الاثنين في أول شهر ربيع الأول»[٢].

يقول شيخُ الإسلام الغيطيُّ نجمُ الدين، قدس الله روحه في عليين: «فأطوار انتقالاته صلى الله عليه وآله وسلّم وجودًا، ونبوَّةً، وهجرةً، ووفاةً، وغير ذلك كانت خاصَّةً بيومٍ واحدٍ؛ وهو يوم الاثنين، فيكون في حقِّه صلى الله عليه وآله وسلّم كيوم الجمعة في حقِّ آدم عليه السَّلام: فيه خُلق، وفيه أُنزل إلى الأرض، وفيه تاب الله عليه، وفيه مات، فكانت أطواره الوجوديَّةُ والدِّينيَّةُ خاصَّةً بيومٍ واحدٍ وهو يوم الجمعةِ.

وإذا كان يوم الجمعة الذي خُلق فيه آدم عليه السَّلام خصَّ بساعةٍ لا يصادفها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إيَّاه، فما بالك بالسَّاعة التي ولد فيها سيِّدُ المرسلين!».

---

(١) انظر: مغازي الواقدي، وسيرة ابن هشام، والسيرة النبوية لابن حبان، والروض الأنف.

(٢) أخرجه الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ١٥٣) طبعة دار النفائس.

«وإنَّما كان مولده في شهر ربيعٍ الأوَّل على ما هو المشهور وقول الجمهور، ولم يكن في الأشهر الحرم ولا في رمضان، إشارةً إلى أنَّه صلى الله عليه وآله وسلّم لا يتشرَّف بالزَّمان، بل الزَّمان هو الذي يتشرَّف به كالأماكن، فلو ولد في ذلك لتُوهِّم أنَّه صلى الله عليه وآله وسلّم تشرَّفَ بذلك الزَّمان الفاضل، فجعل الله تعالى مولده عليه الصَّلاة والسَّلام في غيرها لِتظهَرَ عنايته به وكرامته عليه، ويتشرَّفُ ذلك الشَّهرُ بمولد ذلك النبيِّ الكاملِ»[1].

وُلِدَ الحبيبُ وخدُّه متوردُ .. والنورُ مِن وَجَنَاتِهِ يتوقَّدُ
وُلِد الذي لولاه ما كان النَّقَا .. كلا ولا ذُكِرَ الحِمَى والمعهدُ
هذا الذي لولاهُ ما ذُكرت قُبا .. كلا ولا كان المُحَصَّبُ يُقصَدُ
جبريلُ نادَى في محاسن وصفه .. هذا مليحُ اللونِ هذا أحمدُ
هذا كحيل الطرف هذا المصطفى .. هذا جميل الوجه هذا الأوحدُ
هذا جميلُ النعت هذا المرتضَى .. هذا حبيبُ الله هذا السيدُ
يا ليتَ كلَّ الدهرِ عِندي ذِكْرُهُ .. يا ليتَ كلَّ الدهرِ عِندي مَوْلِدُ[2]

عطِّر اللهم روضَ المصطفى ... بِشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرفا ... واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صلِّ يا ربِّ عليه كلما ... أومض البرقُ وما الغيثُ همى
واملأ الأرواحَ بالنور كما ... أُنشِئَتْ مِن نُور طه قِدَما

(١) «بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين»، (ص: ١٠٥-١٠٦).
(٢) «إسعاف الراغب الشائق» (ص: ٥٤).

ولد الهدى فالكائنات ضياء

ولما كملَتْ أشهرُ حمله صلى الله عليه وآله وسلم بالتمام، نُشِرَتْ له في جوانب الأرض أعلام، فجاء ربيعُ الأولُ الذي فتح الله فيه أبواب عطاياه الجسام، وطلعَتْ فيه شمس الإسلام، وحضرت ليلة مولده المنيرة التي انفجر فيها الضياء مبددًا الظلام، وبلغ بالسيدة آمنة الطلْقُ بلا وجع ولا أسقام، ولم تزل تشاهد من الأنوار ما لا تحيط به العقول والأفهام.

قال عمرو بن قُتيبة: سمعتُ أبي -وكان من أوعية العلم- قال: «لمّا حَضَرَتْ ولادَةُ آمِنَةَ قال اللهُ لملائكته: افتحوا أبواب السَّمَاء كلها وأبواب الجنان كلها، وأمر اللهُ الملائكة بالحضور فَنزلت تبشر بَعْضُهَا بَعْضًا، وتطاولت جبال الدُّنْيَا، وَارْتَفَعت الْبحار وتباشر أهلُهَا، فَلم يبْق ملَكٌ إِلَّا حضر، وأُخِذَ الشيطانُ فغُلَّ سبعين غَلًّا، وألقي منكوسا في لجة البحر الأخضر، وغُلَّت الشياطينُ والمرَدَةُ، وأُلبِسَت الشمسُ يومئذ نورًا عظيمًا»[1].

وظهرت ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم الأمور العظام، توطئة لقدومه وإجلالًا لجنابه وإكرامًا له أيَّ إكرام؛ فتزينت السماء وحرست من استراق السمع لمولد خير الأنام، وانصدع إيوان كسرى وسقطت شرفاته وخمدت نيران الفرس وكانت لم تخمُد ألفَ عام، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض ماء سماوة، ومكان مولده سوق الليل، وهو مكتبة مكة المكرمة في هذه الأيام، فيا سعدَ مَن حيّاه بالزيارة والإعظام.

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة»، كما في «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/ ٨٠).

يقول شيخ الإسلام الإمامُ ابنُ الجزريِّ، الذي هو بالفضل حريّ: «وكان مولُده صلى الله عليه وآله وسلم بالشعبِ، وهو مكانٌ معروفٌ متواترٌ عند أهل مكة، يخرج أهلُ مكةَ كلَّ عام يومَ المولد ويحتفلون بذلك أعظمَ من احتفالهم بيوم العيد، وذلك إلى يومنا هذا، وقد زرتُه وتبرَّكتُ به عامَ حجتي سنةَ اثنتين وتسعين وسبعمائة، ورأيتُ من بركته شيئًا عظيمًا، ثمّ كرَّرتُ زيارتَه في مجاورتي سنةَ ثلاث وعشرين وثمانمائة، وكان قد تهدَّم فرممتُه، وقُرئ عليّ كتابي «التعريف بالمولد الشريف»، وسمعه خلقٌ لا يُحصَوْنَ، وكان يوما مشهودًا»[١].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَبِشَارَةُ عِيسَى عليه السلام، وَرُؤْيَا أُمِّيَ الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»**[٢].

قال الحافظ زين الدين العراقيّ، في "مولده الهنيّ السنيّ"[٣]: «وقد ورد خروج النور من آمنةَ حين ميلاده، من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

---

(١) كتاب «عَرفُ التَّعْريف بالمولدِ الشَّريف» للإمام ابن الجزريّ (ص: ٢٣)، طبع دار الحديث الكتّانية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والبزار في «المسند»، وابن حبان والحاكم في «المستدرك» وصححه، ووافقه الذهبي، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وأخرجه الدارمي في «المسند» من حديث عتبة بن عبدٍ السلمي رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) «المورد الهني في المولد السني» للحافظ العراقي (ص: ٢٠٣) طبعة دار السلام.

تقول السيدةُ فاطمةُ بنتُ عبد الله الثقفيةُ أمُّ عثمانَ بنِ أبي العاص رضي الله عنهما: «شهدتُ آمنةَ لما وَلَدَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما ضربها المخاضُ نظرْتُ إلى النجوم تَدَلَّى حتى إني لأقول لَتَقَعَنَّ عليّ، فلما ولدَتْه خرج منها نورٌ أضاء له البيتُ الذي نحن فيه والدارُ، فما شيءٌ أنظر إليه إلا نورٌ»[1].

وتقول السيدة آمنة عليها السلام، فيما نقلته عنها الرضيّةُ المَرضيّة، حليمةُ بنتُ عبدِ الله السعدية: «إنّ لابني هذا شأنًا، إني حملتُ به فلم أحمِلْ حَمْلًا قطُّ كان أخفَّ عليّ ولا أعظمَ بركةً منه، ثم رأيتُ نورًا كأنه شهابٌ خرج مني حين وضعتُه، أضاءت له أعناقُ الإبل ببُصرَى، ثم وضعتُه فما وقع كما يقع الصبيان، وقع واضعًا يدَه بالأرض، رافعًا رأسَه إلى السماء»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»، والطبري في «التاريخ»، والطبراني وابن السكن.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، عن حليمة السعدية رضي الله عنها، عن السيدة آمنة عليها السلام.

محل القيام في مولد خير الأنام

السلام عليك يا خيرَ الأنامِ .. السلام عليك يا بدرَ التمامِ
السلام عليك يا نورَ الظلامِ .. السلام عليك يا مسكَ الختامِ

السلام عليك يا سرَّ الوجودِ .. السلام عليك يا وُدَّ الودودِ
السلام عليك يا نجمَ السعودِ .. السلام عليك يا زاكي الجدودِ

السلام عليك يا بابَ العطاء .. السلام عليك يا فيضَ الرجاء
السلام عليك تاجَ الأولياء .. السلام عليك ختمَ الأنبياء

السلام عليك يا خيرَ الرجالِ .. السلام عليك يا باهي الجمالِ
السلام عليك يا مجلى الكمالِ .. السلام عليك في صحبٍ وآلِ

السلام عليك يا ذا القبلتينِ .. السلام عليك يا ابنَ الساجِدَيْنِ
السلام عليك يا إنسانَ عَيْني .. السلام عليك يا جدَّ الحسينِ

السلام عليك يا ابنَ المصطفَيْنا .. السلام عليك إنّا قد أتيْنا
السلام عليكَ منكَ أتى إليْنا .. السلام عليك تحنانًا عليْنا

صلواتُ الله تترى .. وسلامُ الخلقِ طُرّا .. فاض ياقوتًا ودُرّا
تَغمُـرُ النـورَ الأغرّا

شمسُ نورٍ في ضحاها .. بدرُ تمٍّ قد تلاها .. نورُ عرشِ الله طه
وبه الخـلّاقُ أسرى

سيدُ الساداتِ أحمدْ .. ذو الكرامات الممجَّدْ .. خيرُ مَن أوفى وأرفَدْ
جاء بعد العسر يسرا

والداكَ السـيدانِ .. الكريمان اليدانِ .. الأبانِ السـاجدانِ
أوجبُ الآبـاء بِـرّا

فيكَ يا مالكَ أمري .. تزدهي بهجةُ عمري .. قد أتانا خـيرُ شهرٍ
ينثرُ الخـيراتِ نثرا

أنتَ يا وجهَ السعودِ .. سرُّ خلقي ووجودي .. وسروري وسعودي
فاكسُني نورًا وسرّا

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربّ عليـه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أُنشِئَتْ مِن نُور طـه قِدَمـا

استحباب قيام السادة عند ذكر الولادة

استحب العلماء الأعلام، من أئمة الإسلام، ذوي الفقه والأفهام، ما جرت عليه أعراف الخواص والعوام، في أكثر أمصار الإسلام، من عادة القيام، عند ذكر ولادة خير الأنام، عليه وآلِه الصلاة والسلام، إذ القيام سلوك يدل على التوقير والاحترام، كما قرره النووي الإمام علّامة الأنام، في رسالته «الترخيص في الإكرام بالقيام، لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام، على جهة البر والتوقير والاحترام، لا على جهة الرياء والإعظام».

وكان الإمام أحمد متكئًا من عِلّةٍ، فذُكِر عنده إبراهيمُ بنُ طَهْمَان، فاستوى جالسًا، وقال: «لا ينبغي أن يُذكَر الصالحون فيُتّكَأ»[١].

وإذا استُحسِن الاستواء عند ذكر الصالحين، فالقيام أولى عند ذكر مولد خاتم النبيين، ولمّا أُنشِدَت قصيدةُ الشاعر الولي، الصرصري الحنبلي:

قليلٌ لمدح المصطفى الخطُّ بالذهبْ .. على وَرِقٍ مِن خطِّ أحسنِ مَن كتَبْ
وأن تنهضَ الأشرافُ عند سماعه .. قيامًا صفوفًا أو جُثِيًّا على الرُّكَبْ

قام الإمام التقي السبكي واقفًا على سبيل التعظيم والاحترام، بذكر خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، وتابعه على ذلك مشايخ الإسلام[٢].

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/٧) طبعة دار الغرب الإسلامي، وابن الجوزي في «المنتظم» (٢٦٦/٨) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) ذكر هذه الواقعةَ الإمامُ التاجُ السبكي في «طبقات الشافعية» (٢٠٨/١٠) طبعة دار هجر.

«ويكفي ذلك في الاقتداء»، كما يقول النور الحلبي أجزل الله له العطاء[١]، وهذا القيام على غاية الاستحسان، كما قرره سيدي أحمد زيني دحلان[٢].

وألف في تقرير ذلك والانتصار له جماعة من الأعلام؛ منهم: الحافظُ مغلطايُ الإمام، في «الرد على من أنكر القيام، عند ولادته عليه الصلاة والسلام»، والعلامةُ البرهان الحلبي الهمام، في كتابه «القول التام في حكم القيام، عند ذكر ولادته عليه الصلاة والسلام»، وابنُ حجر الهيتميُّ علامة الأنام، في «تحرير الكلام في القيام، عند ذكر مولد خير الأنام»، والسيدُ محمودُ العطارُ من الشوام، في «استحباب القيام، عند ذكر ولادته عليه الصلاة والسلام»، والسيدُ محمد علي بنُ حسين مفتي المالكية في البلد الحرام، في «الهدي التام، في موارد المولد النبوي وما اعتيد فيه من القيام»، والشيخ محمد أفندي القاسميُّ مفتي الحنابلة في دمشق الشام، في رسالتيه «تحقيق الكلام في وجوب القيام»، و«دحض الفضول، في الرد على من حظر القيام عند ولادة الرسول»، وأبو الفتوح الهجرسيُّ الشافعيّ، في «المنظر البهيّ، في طالع مولد النبيّ، وما يتبعه من أعمال المولد وحكم القيام، عند ذكر مولده عليه الصلاة والسلام»، ومفتي الحنفية أحمد رضا خان البريلويُّ المجددُ العلامة، في «إقامة القيامة، على طاعن القيام لنبي تهامة»، والعلامة أبو العباس المَوّاز قاضي قضاة المالكيين، في كتابه «حجة المنذرين، على تنطع المنكرين».

(١) «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» للنور الحلبي (١/١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية.
(٢) «السيرة النبوية» للعلامة أحمد زيني دحلان (١/٢٧) طبعة المطبعة الوهبية.

وبذلك جرت عادة المحبين، إذا سمعوا بذكر وضع خاتم النبيين، أن يقوموا له تعظيما، ويصلوا عليه ويسلموا تسليما، كما ذكره العلامة الصالحي ذو السداد، في «سبل الهدى والرشاد»[١]، نفع الله به العباد.

وقال مفتي الشافعية، في المدينة المنورة النبوية، العلامة البرزنجي ذو النفحات الجلية، في «مولده: عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر»: «وقد استحسن القيامَ عند ذكر مولده الشريف أئمةٌ ذوو رواية ورَوِيَّة، فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم غايةَ مَرَامِه ومَرْمَاه».

وقال مفتي المالكية، في مكة المحمية، العلامة المصري الأزهري حسين، في كتابه "قرة العين، بفتاوى علماء الحرمين": «قد جرى على استحسان ذلك القيام عملُ من يعتد بعمله في أغلب البلاد الإسلامية، فالقيام عند ذكر مولده ووضع أمه له تعظيمًا له صلى الله عليه وآله وسلم بدعة حسنة لا ينبغي لأحد من الخواص والعوام تركه، ولا المنع عنه»[٢].

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُّرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربِّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أنشئتْ مِن نُور طه قِدَما

(١) «سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد» للإمام الصالحي (١/٣٤٤-٣٤٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) «قرة العين بفتاوى علماء الحرمين» للعلامة حسين بن إبراهيم الأزهري تخرجا، المالكي مذهبا [ت١٢٩٢هـ] (ص: ٣١٠) طبعة المكتبة التجارية الكبرى.

الوصف الشريف

وبعد أن ذكرنا بعضًا من سيرة هذا السيد الشريف، وما ورد في مولده من مظاهر التشريف، تحركت الأشواق لسماع بعض الأوصاف، لمجلى الطهر والعفاف، وإن كانت الكلمات على جزالتها، والعبارات على فصاحتها، تعجز عن وصف هذه الكمالات، كما عجز عن إدراك عظم قدر كامل الذات، وقد خلقه الله تعالى على غاية ما يكون الكمال، في كل الأطوار والأحوال، فكان على الكمال في عالم الذر وفي أصلاب خير الرجال، وفي بطن أمه الشريفة وحالَ صباه وشبابه واكتهاله، وحين نزول الوحي عليه إلى حين انتقاله، فكان يرتقي من كمال إلى كمال، ويزداد جمالًا على جمال، بما يتجلى عليه الوهاب من القرب والوصال.

وعلى تفنن واصفيه بمدحــه .. يفنى الزمان وفيه ما لم يوصفِ

فهو صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الناس خَلقًا وخُلقًا، ومهما وصفه الواصفون فهو من وصفهم أرقى، مناقبه لا تحصى، وتقصر عن استيفائها يد الاستقصا، ولذلك قل عدد واصفيه، لعجز الصحابة عن الإحاطة بما فيه، من أوصاف سنية، ونعوت نورانية.

فهو الذي تمَّ معناهُ وصورَتُه .. ثم اصطفاهُ حبيبًا بارئُ النسمِ

منزهٌ عن شريكٍ في محاسنهِ .. فجوهرُ الحُسْنِ فيهِ غيرُ مُنقَسِمِ

فهو صاحبُ الوجهِ المليح والقدِّ الرجيح والوجهُ أزهر، أسر القلوب بطلعته البهية، يتلألأ وجهه الشريف تلألؤ القمر في هيئته البدرية،

والحاجب أقمر، هامت بحبه النفوس العلية، والطرف أحور، سقى بنظرته من أحبه من محبته كؤوسًا هنية، واسعُ العينين أكحلُهما يَرى بهما ما لا يرى سواه مِن قوته البصرية، ويرى مِنْ خَلفه كما يرى مِن أَمامه رؤيةً واضحة جلية، واسعُ الفم مفلَّج الأسنان إذا تكلم بدت أسنانه كالدرر المنظومة اللؤلؤية، أهدب الأشفار، واسع الجبين، سهل الخدين، يُرى في أنفه بعضُ احْدِيدَاب، حسنُ العرنين أقناه، كثُّ اللحية،، عظيمُ الرأس، شعره إلى الشحمة الأذنيَّة، مربوع القامة، أبيض اللون، مُشربٌ بحمرة، بعيدُ ما بين المنكبين، بين كتفيه خاتم النبوة، ضخم الكراديس، لا يماثله أحدٌ في البشرية، سبط الكفين، وإذا صافح بيده الشريفة أحدًا يجد المصافح من أثرها سائرَ اليوم رائحة مسكية، وفي يده مفاتيح خزائن الأرض وجعله الله قاسمًا لكل عطية، قليلُ لحم العقب، ويتكفأ في مشيته كأنما ينحط من صبب لا يدركه من ماشاه من مِشيته القوية، وعَرْفُه أطيب من المسك وعَرَقُه كاللؤلؤ المنضود، يُطيَّبُ به الطيبُ فتزداد رائحته الزكية، يقول ناعته لم أرَ قبله ولا بعده مثلَه يقاربه في الأوصاف والمزية.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم شديد الحياء والتواضع، يخصف نعله ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويسير في خدمة أهله ويحب المساكين، ويجلس إليهم ويعود مرضاهم، ويشيع جنائزهم ولا يحقر فقيرًا، ويقبل المعذرة، ولا يقابل أحدًا بما يكره، ويمشي مع الأرملة والخدم والعبيد، وإذا غضب يغضب لله، ويرضى ما يرضى مولاه، ومع شريف مقامه كان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وتنام عينه ولا ينام قلبه الشريف

ويبيت وقد أطعمه الله وسقاه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقل اللغو ويبدأ من لقيه بالسلام، ويتألف أهل الشرف ويقابل أهل الفضل بالإكرام، ويمزح ولا يقول إلا الحقَّ من الكلام.

فسبحان مَن أعطاه كلَّ فضيلةٍ .. وأثنى علي أخلاقه متطوِّلا
ونزَّهه عن كلِّ عيبٍ يَشِينُه .. بعصمتهِ إيَّاه قولًا ومفعلا
وأقسمَ في آيِ الكتابِ بِعُمرهِ .. وخاطبَهُ عندَ النداءِ مُبجِّلا

وليس ذلك بمستغربٍ على من أدبته العناية الربانية، فضلًا عما أودعه مولاه من الفطرة السليمة والجبلة السوية، فسبحان من أرسله رحمة للعالمين، وجعله شفيع المذنبين، وختم به النبيين، حوضه لا يظمأ من شرب من مائه، والأنبياء والصالحون يوم القيامة تحت لوائه، معجزاته لا حصر لها وهي على مر الزمان تزيد، وخصائص نبوته باقية أبدًا لا تبيد، فلو كان البحر مدادا والأرضون والسموات صفحات، والبيان والبلاغة والفصاحة حاضرة بما لها من أحسن الكلمات، وأجزل الجمل وأبلغ العبارات؛ لما وفى ذلك بما أولاه مولاه من الكمالات.

عطِّر اللهم روضَ المصطفى .. بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآلِ الكرامِ الشُرَفا .. واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صل يا ربِّ عليه كلما .. أومض البرقُ وما الغيثُ همَى
واملأ الأرواحَ بالنور كما .. أُنشِئَتْ مِن نُور طه قِدَما

الصلاة المشيشية على خير البرية

اللهم صل على مَن مِنه انشقَّت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم سيدنا آدم عليه السلام فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابقٌ ولا لاحق، فرياضُ الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، صلاةً تليق بك منك إليه كما هو أهله، اللهم إنه سرُّك الجامع الدالُّ عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، اللهم ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني إياه معرفةً أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها مِن موارد الفضل، واحملني على سبيله إلى حضرتك، حملًا محفوفا بنصرتك، واقذف بي على الباطلِ فأدمَغه، وزُجَّ بي في بحار الأحدية، وانشُلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجدَ ولا أُحسَّ إلّا بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحَه سرَّ حقيقتي، وحقيقتَه جامعَ عوالمي بتحقيق الحق الأول، يا أولُ يا آخرُ، يا باطن يا ظاهر، اسمع ندائي بما سمعتَ به نداءَ عبدِك سيدِنا زكريا على نبينا وعليه السلام، وانصرني بك لك، وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحل بيني وبين غيرك، (الله الله الله) ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (ثلاثًا) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عددَ معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

عطِّر اللهم روضَ المصطفى ... بشذى الوصل صلاةً وسلاما
وعلى الآل الكرام الشُّرَفا ... واجعل المختارَ لي دومًا إماما
صلِّ يا ربِّ عليه كلما ... أومض البرقُ وما الغيثُ همى
واملأ الأرواحَ بالنور كما ... أُنشِئَتْ مِن نُور طه قِدَما


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس